

# التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّهِمْ قَوْمِ الدَّعْوَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وعلى آله  
وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فإن للتوكل أطرافاً ثلاثة : وكيل ، ومتوكل ، وتوكل .

فالطرف الأول وهو الوكيل : هو المقيم المتكفل بأرزاق العباد ،  
والوكيل هو الولي — عز وجل ولا أحد سواه .

يقول تعالى : ( وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا  
تتخذوا من دوني وكيلاً )<sup>(١)</sup>

والوكيل هو من توكل بالقيام بجميع ما خلق ، والوكيل هو التكفل  
الذي تكفل بأرزاقنا وهو الكافي الذي يكفينا بكل خير ومن  
كل شر ..

والطرف الثاني : هو المتوكل وهو الذي يتوكل على الله ، ويتوكل  
على مولاه ومن كان كذلك : ( فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح  
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير )<sup>(٢)</sup>

والمتوكل على الله هو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره ويركن  
إليه وحده ولا يتوكل على غيره ( ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون  
من دونه ما يملكون من قطمير )<sup>(٣)</sup> ، ( ولا تركنوا إلى الذين ظلموا

(٢) التحريم الآية : ٤

(١) الإسراء الآية : ٢

(٣) فاطر : ٢

فتسكن النار) <sup>(١)</sup>، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) <sup>(٢)</sup>، أى كافيته وكافته.

وأما الطرف الثالث: فهو التوكل وهو طرف معنوي يتضمن علماً وعملًا، فهو منهج بين الوكيل والمتوكل ومعنى ذلك أن التوكل على الله من أشد الأسلحة مضاء وأقواها فاعلية ولما كان الأمر كذلك جعلت مقالي هذا في التوكل على الله حتى يتبين الأمر لكل ذى عينين ويشعل الصبح لكل من عنده قلب أو أذن السمع وهو شهيد.

وآيات القرآن الكريم جاءت تترى: والسنة المطهرة مليئة بهذا وفي الواقع أن كثيراً من سور القرآن الكريم جاءت تحمل معنى التوكل على الله إما خطاباً للنبي ﷺ وإما خطاباً للأمة كلها على الإطلاق، وكل خطاب مخاطب الله به يبيده خطاب للأمة إلا ما خص به النبي ﷺ، وإلى الغاري الكريم طرفاً بما جاء في القرآن الكريم.

قال تعالى: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) <sup>(٣)</sup> وقال: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) <sup>(٤)</sup> وقال لرسوله ﷺ (قل هو الرحمن أمانا به وعليه نتوكلنا) <sup>(٥)</sup> وقال لرسوله (فتوكل على الله إنك على الحق المبين) <sup>(٦)</sup> وقال له (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) <sup>(٧)</sup> وقال له (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) <sup>(٨)</sup> وقال له (فإذا عازمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) <sup>(٩)</sup>

(١) مود ١١٣ (٢) الطلاق ٣

(٣) المائدة ٢٣ (٤) الطلاق ٣

(٥) المائدة ٢٩ (٦) البقرة ١٨٩

(٧) الأعراب ٤ (٨) الفرقان ٥٨

(٩) المؤمن ٦٠

وقال عن أنبيائه ورسله (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) (١).

وقال عن أصحاب بيته (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فكسفهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (٢) وقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) (٣).

### التوكل في السنة النبوية :

ثم جاءت السنة توضح وتبين معنى التوكل الحقيقي وهذا طرف من سنده عليه السلام وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب (هم الذين لا يستزقون ولا يتطيقون ، ولا يكتفون وعلى ربهم يتوكلون) (١) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل . قالوا إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالوا عليه السلام حين قالوا له ( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ كان يقول ( اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت ، اللهم

(١) إبراهيم ١١ (٢) آل عمران ١٧٣

(٣) الأنفال ٢

(٤) وعلى ربهم يتوكلون ، في الكلام قصر ، طريقته تقديم ما حقه التأخير ، وهذه الجملة محتمل أن تكون مفسرة لما تقدم ، ومحتمل أن تكون من ذكر العام بعد الخاص لأن صفة كل واحدة منها صفة أحسن من التوكل وهو أعم من ذلك ، فتح للنعم الجزء الثاني ص ٧٦

إني أعود بعزتك لا إله إلا أنت . أن تصلي ، أنت الحى الذى لا يموت  
والجن والإنس يموتون ) وفى الترمذى عن عمر رضى الله عنه ، مرفوعاً  
( لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو مخاصماً  
وتروح بطاناً ) وفى السنن عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله  
ﷺ : « من قال — يعنى إذا أخرج من بيته — بسم الله توكلت على الله  
ولا حول ولا قوة إلا بالله — يقال له : هديت ووقيت وكفيت فيقول  
الشیطان لشیطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ( ١ ) .

وبعد هذه الأحاديث أفرق بين التوكل فنقول : —

#### مفهوم التوكل عند بعض الناس

إن بعض الناس فهم التوكل على غير حقيقة ، فهم بالأسباب جاهلاً  
وجلس لا كسب ولا إستوراق وإذا ما سأله من ذلك سمعت كلاماً عجياً و  
تجده يندفع قائلاً لك : « توكل على الله ، وخليها على الله ، » « ما كان لك  
صوف بأنيك ، » إلى غير ذلك من الألفاظ التى لا تمت إلى التوكل به  
وإنما هي إن أعادت تفيد التطلع والتبطل والتواكل .

وهذه الطوائف قد بلى بها الإسلام قديماً وحديثاً وصاروا حالة عليه  
ومن الناس من يعتمد على السبب وحده فقط إذا كان زارعاً اعتمد على  
الماء والسماد والحراث . وإذا كان تاجراً اعتمد على المال وإذا كان  
طالب علم اعتمد على المذاكرة ، والذهاب والرواح فقط ، وهؤلاء  
أيضاً يمثلون خطورة على الإسلام ما بعدها خطورة .

#### التوكل عند العلماء :

إن التوكل على الله حقيقة أن يربط الأسباب بالمسباب ثم يفوض  
الأمر إلى الله عز وجل ، قال القرطبي ( ٢ ) : ( التوكل فى اللغة السور

والاعتماد على الغير ، وواكل فلان إذا ضيع أمره مشكلاً على غيره .  
وقد اختلف العلماء في حقيقة التوكل ، فمثل عنه سهل بن عبد الله فقال :  
قالت فرقة الرضا بالضيان وفتح الطمع من المخلوقين ، وقال قوم : التوكل  
ترك الأسباب والركون إلى سبب الأسباب فإذا شغل السبب عن المسبب  
زال عنه اسم التوكل ، قال سهل : من قال التوكل يكون بترك السبب فقد  
طمع في سنة الرسول ﷺ ، لأن الله عز وجل يقول : « فاعبروا بما  
غنمتم حلالاً طيباً » (١) فالغنيمة اكتساب ، وقال تعالى : ( فاعبروا فوق  
الأعناق واضربوا منهم كل بنان ) (٢) فهذا عمل .

وقال النبي ﷺ ( إن الله يحب العبد المحترف ) وكان أصحاب رسول  
الله ﷺ يقدمون على السرية . وقال غيره : وهذا قول طائفة الفقهاء ،  
وأن التوكل على الله هو الثقة بالله والإيمان بأن قضاءه حاضر ، واتباع  
سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد فيه من الأسباب من مطعم ومشرب  
وتحذير من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى  
المعتادة ، وإلى هذا ذهب محققو الصوفية ، لكنه لا يستحق عندهم مع  
العلمانية إلى تلك الأسباب والالتفات إليها بالقلوب ، فإنها لا تجلب نفعاً  
ولا تدفع ضرراً بل السبب والمسبب فله تعالى والسبب منه وبمشيئته ، ومن  
وقع من المتوكل دكون إلى تلك الأسباب فقد انسلخ عن ذلك الاسم .

ثم المتوكلون على حاليين : الأول : حال المتسكن في التوكل فلا يلتفت  
إلى شيء من تلك الأسباب بقلبه ولا يتعاطاه لإيجاز الأمر .

الثاني : حال غير المتسكن وهو الذي يقع منه الالتفات إلى تلك  
الأسباب أحياناً غير أنه يدفعها عن نفسه بالطرق العلمية ، والبراهين

القطعية، والأذواق الخالية، فلا يذال كذلك إلى أن يرقبه الله بحجوده إلى مقام المتوكلين المتصكين ويلحقه بدرجات العارفين .

إن المسلمين في غروة بدوما انتصروا إلا بعد أن أفرغوا ما في جيبهم والمعارك القديمة والحديثة ما تم لأصحابها النصر إلا بعد أن بذلوا ما في وسعهم وجهدهم ، نزل عليهم نصر الله يؤيدهم ويقاومهم ويلاصقهم ، قال علياؤنا في مسألة الأسباب من اعتمد على السبب وحده كفر ، ومن ترك الأسباب فسق ، والمسلم الخفيف الذي يربط الأسباب بالمسببات . يفوض الأمر لله .

لقد مرر برحى الله عنه على جماعة يجلسون في الطريق من غير مأوى ولا مؤونة فسألهم من أنتم ؟ قالوا : متوكلون . فقال لهم كذا كنتم متوكلون ، إن المتوكل هو الذي يضع الحب في الأرض ويفوض الأمر إلى الرب .

إن الله قد تكفل بأرزاق العباد والدواب وجميع المخلوقات شريطة أن يؤدوا ما عليهم ثم يعدم بعدد من عنده . قال تعالى : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين .<sup>(١)</sup>

إن النمل قد عرف التوكل على الله فسمى ليجمع نيا كل . أمم قد يعطى الله بدون أسباب لأن قدرته لا تتوقف على سبب ولا شيء ، وقد يرزق الله بسبب وبدون سبب . وإن سيدنا إبراهيم عندما ألقي به في النار كان متوكلا على مولاه . لكنه شعن نفسه بقوة نفسية هائلة من التوكل جعلته ينسى الوسطة ولا يفتد كرا إلى رب الوسطة . أمن بحبيب المصطر إذا دعاه ويكشف السوء .<sup>(٢)</sup> وكما سبق فقد روى عن ابن عباس أن سيدنا إبراهيم قال

(١) هود ٦

(٢) النمل ٦٢

حسبنا الله ونعم الوكيل عندما ألقى في النار وأن الرسول ﷺ كان يقولاً عند كل كرب .

قال في فتح المنعم (١) : « وأما التوكل على الله فقد قالت طائفة من الصوفية لا يستحق إمام التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى . حتى لو هم عليه الأسد لا يزعج وحتى لا يسمي في طلب الرزق ، لأن الله شئته له وهذا القول بعيد عن الصواب ، والحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه ماض لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب انبعاثاً للسنة .

فقد استعان ﷺ بالدرع ، ونس على رأسه المنقري ، وأخذ الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة ، وأذن بالمجرة إلى الخبيصة وإلى المدينة ، وهاجر هو ، وتعاطى أسباب الأكل والشراب ، ادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء ، كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك وقال للذي سأله : أأعقل نأق أم أدعها ؟ قال له : « إعتقلها وتوكل » . فأشار إلى أن الإحتراز والسعي لا يتعارض مع التوكل .

فقد سئل الإمام أحمد (أ) عن رجل جالس في بيته أو في المسجد ، وقال : لا أصعل شيئاً حتى يأتيني رزقي . فقال : هذا رجل جهل العلم ، فقد قال النبي ﷺ : « إن الله جعل رزقي تحت ظل رحمن » ، وقال : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا انعاماً وتروح باطناً » .

(١) فتح المنعم بشرح صحيح مسلم ٢٣ صفحة ٥٨٧-٥٨٨-٥٨٩ بتصرف .  
(أ) الإمام أحمد بن حنبل وله في ربيع الأول سنة ٢١٤ هـ ببغداد وهذا هو الصحيح ونسبه عربي فهو شيباني في نسبه لأبيه وأمه فلم يكن أحمياً ولا عجمياً بل كان عربياً حالصاً . قال فيه الميثم بن جميل : إن طاش هذا الفتي فسكون حجة على أهل زمانه انظر ابن حنبل لأبو زهرة بتصرف .



قد ذكر أنها تعدو وتزوح في طلب الرزق ، فقال : وكان الصحابة يتجهرون به  
ويعملون في تخيلهم ولنا فيهم أسوة حسنة . انتهى كلام الإمام أحمد .

### علاقة العمل بالتوكل :

وقد حثت الشريعة الإسلامية كثيراً على العمل فقال ﷺ : « أفضل  
ما أكل الرجل من كسبه ، وكان داود يأكل من كسبه وقال تعالى : يا أيها  
الذين آمنوا خلوا حذركم » <sup>(١)</sup> وقال دوحينا : صنعة لبرس لكم لتحصنكم من  
بأسكم » <sup>(٢)</sup> ، وأما قول بعض الصوفية : كيف تطلب ، ما لا تعرف مكانه ؟  
أي كيف تطلب الرزق وهو مجهول لك ؟ لجوابه أن فعل السبب المعروف  
الأمور به ويتوكل على الله فيها يخرج عن قدرته ، يشق الأرض مثلاً  
ويلقى الحب ويتوكل على الله في إثباته وإنزال الغيث له ، ويحضر السلمة  
مثلاً ، وينقلها ويتوكل على الله في إلقاء الرغبة في قلب من يطلبها منه ،  
بل ربما كان التسكيب واجباً لقادر على الكسب يحتاج إليه للنفقة  
ففي ترك ذلك كان عاصياً ، والنحفيق أن التوكل يحصل بأن يثق بوعد  
الله ، ويعتمد بأن قضاءه واقع ، ويعمل ويتبع السنة في الأخذ بالأسباب  
وفي إبتغاء الرزق . مصداقاً لقوله تعالى : « فامشوا في مناكبها وكلوا  
من رزقه » <sup>(٣)</sup> ، ومع ذلك فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه ، بل يعتقد أنها  
لا تجلب بذاتها ثمناً ، ولا تدفع ضرراً بل السبب والمسبب فعل الله تعالى ،  
والكل بمحضته ، فإذا وقع من المارة ركون إلى السبب قدح في توكله

(١) النساء الآية ٧١

(٢) الأنبياء الآية ٨٠

(٣) الملك الآية ١٥

والناس مع التوكل على قسمين : واصل ، وسالك فالأول صفة الواصل ، وهو الذي لا يلتفت إلى الأسباب ولو تعاطاها ، وأما السالك فيقع له الالتفات إلى السبب أحياناً ، إلا أنه يدفع ذلك عن نفسه بالطرق العلمية إلى أن يرقى إلى مقام الواصل والمعتدلون من المصوفه عمل ذلك إذ يقول أبو القاسم القشيري : التوكل عمل القلب ، وأما الحركة الظاهرة فلا تنافيها إذا تحقق العبد أن الكل من الله تعالى ، فإن يتسر شيء فتتيسر ، وإن تسر غبتقديره ، والله أعلم — أ. هـ .

قال ابن القيم في مدارج السالكين : التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإيمانه فإن الدين إسماعانه وعبادته فالتوكل هو الإستعانة والإيمانه هي العبادة ومنزلته أوسط المنازل وأجملها ولا تزال معموره بالنازلات لسمعة متعلق التوكل وأكثره حوائج العالمين ومموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم فأصل السموات والأرض المسكفون وغيرهم في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان ، ولصرة دينه وإعلاء كلك وجهاد أعدائه وفي حبه وتنفيذ أو امره ودون هؤلاء من يتوكل عليه في إستقامته في نفسه وحفظ حاله من الله فارغاً عن الناس ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله من .

من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو ذوبية أو راد أو ضرورة ذلك ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب

(٥) وتوفي سنة ٧٥١ هـ وشيخ الإسلام محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية ولد من أجوين ما تحين وصار من الأئمة الكبار وهو تلميذ ابن تيمه

هذه المطالب لا ينالونها غالباً إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه في حصول ذلك . بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات ولهذا يلقون أنفسهم في المتألف والمبالغة معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم .

فالتوكل أفضله : التوكل في الواجب — أعني الواجب للعق جل وعلا .  
وواجب الخلق وواجب النفس .

وأوسعها وأنفعه : التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مضرة دنيوية وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا توكل ورثته ثم الناس بعد ذلك في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم فمن متوكل على الله في حصول الملك ومن متوكل على الله في حصول رغبته . ومن صدق توكله على الله في حصول شيء . ناله فإن كان محبوباً له مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة وإن كان مسخوفاً مفضوذاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه ، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما تسوكل فيه إن لم يستعن به على طاعته اهـ .

إن بعض الناس يعتمد على ماله أو جاهه أو سلطانة وهذه أمور زائلة ومنتهية فالمال لا يدوم والجاه لا يستمر وكل سلطان يزول إلا سلطان الله عز وجل قال حاتم الأصم ، وكان من أصحاب شقيق البلخي شارحاً هذا المعنى في كلام طويل أذكر منه طرفاً يفيد الغرض ويؤدي المراد حتى تعلم حقيقة هذا الأمر الجليل وهو التوكل على الله وحده الذي بيده كل شيء . « نسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » (١) . قال رحمه الله

ولاني رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه في كثرة الأتوم والعشائر فاعتز بهم وزعم آخرون أنه في حيازة الأموال وكثرة الأولاد فأفتخر بهم وحسب بعضهم الشرف والمز في غضب أموال الناس فظلمهم وسفك دمائهم واعتذرت طائفة أنه في إتلاف المال وإسرافه وتبذيره وتأملمت قوله تعالى : فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور<sup>١٢</sup> . فأقبلت على ربي ونفست يدي من هذه المملكات والآباطيل ، وقيل له في موضع آخر علام بنيت عليك ؟ قال على أربع : على فرط لا يؤديه غيري فأنا به مشغول وعلمت أن رزقي لا يجاوزني إلى غيري فقد وثقت به وعلمت أني لا أخلو من دين الله طرفة عين فأنا منه مستحق ، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فأبادره ، اه . كلام حاتم رحمه الله .

#### تمقيب :

إن التوكل على الله سند لمن لا سند له وعما د من لا عماد له لقد ورد في الآثار : من توكل على ماله ذل ، ومن توكل على جاهه شغل ، ومن توكل على سلطانه ضل ، ومن توكل على الله لم يزل ولم يخل ولم يضل ، إن أكثر الأمة الآن حكاماً ومحكومين يعتمدون على غير الله منهم من يعتمد على الشرق ، ومنهم من يعتمد على الغرب ، ولذلك شككت الأمة الفقير والجورح والعري ، ويلجأون إلى وساعل لا تمت إلى الاعتقاد على الله بصلة لا من قريب ولا من بعيد ، فانت تبسح من وقت لآخر من بعض الحكام إن لم يكن كلهم إن كثرة النسل هي التي أشقت المجتمع ، وما دمتنا في توايد فلا يمكن أن نحيا ولا أن نموت ، ونفسوا أو تناسوا قوله تعالى : وما من دابة في

الأرض إلا على الله رزقها ، من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون <sup>(١)</sup> . إن تنظيم النسل إن أريد به صحة المرأة فهو مقبول ، وإذا أريد به ما تردده الدولة على السنة لإعلامها أنها إذا تزايدها لا تأكل ولا تعيش فهذا فكر خاطيء لأن الله تكفل بكل شيء كما سبق ذكره : أروني جيلاً من الأجيال أو أمة من الأمم اعتمدت على ربها رزقاً للأسباب بمسبباتها ثم جاءت أو تعرفت إن هذا المنطق المعكوس هو الذي تسبب في شقاء الأمة من جور وعري ، إن الدولة لو أنفقت ما تنفقه على الإعلام الضال المضل لكان للأمة شأن غير شأنها وحال غير حالها ، فإليك ربي تفكروا أمرنا ولا حول ولا قوة إلا بالله . إن ما تملكه الأمة من ثروات فوق ظهر الأرض وفي باطن الأرض يفنيها عن السؤال لهذا أو ذاك ، ولو افترضنا أن إنساناً عنده كثر ولم يستعمله ثم أهمله وأخذ يتسول من هنا أو هناك فما ذهب التكتل الذي لم يخرج له صاحبه ولم يلتفت به .

إن الأمة في حاجة ماسة إلى أن تراجع حسابها كاملاً مع الله فتعتمد عليه وتساله وحده وتستعين به وحده وصدق الله إذ يقول : ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً <sup>(٢)</sup> .

والله تمالئ أن يرزقنا حسن التوكل عليه والاعتماد عليه (هـ) نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله أولاً وآخراً

١ . د/ سليمان سليمان محمد الدبش  
أستاذ ورئيس قسم الدعوة بالسكينة

(٢) الطلاق : ٣ .

(١) النحل : ٩٧ .